نشأة و تطور السيميولوجيا

لكل علم تاريخ وجذور يعود إليها و الشيء نفسه بالنسبة لهذا العلم غير أنه من الصعب تحديده بدقة، ففي المراجع الأساسية للفكر الغربي ترجع نشأة السيميولوجيا إلى بداية الميلاد حوالي ألفي سنة أي إلى الفكر اليوناني.

فمصطلح السيميوطيقا في اللغة الأفلاطونية تعني تعلم الكتابة و القراءة وهو مندمج مع الفلسفة، ثم تعود للظهور مع الفيلسوف "جون لوك" 1632_1704 و لكن الدراسة السيميولوجية في عصره لم تخرج في إطار النظرية العامة للغة و فلسفتها النظرية، ثم يأتي العمل الفلسفي الذي قام به الفيلسوف الألماني "كسرير" Cassirer، في كتابه "فلسفة الشكل الرمزي" كان قد طرح المبادئ السيميائية التالية:

- ✓ اللغة دلالة تميز الإنسان عن الحيوان.
- ✓ ليست اللغة هي الأداة الوحيدة التي تؤدي دور اتصالي إنما هناك أنظمة إشارية أخرى كالأسطورة ،الدين ،الفن ،العلم ،التاريخ.

أما الملامح المنهجية لعلم السيميولوجيا فلم تظهر إلا مع بداية القرن العشرين قد كانت "نشأتها مزدوجة، نشأة أوربية مع دي سوسير، ونشأة أمريكية مع بيرس".

يرى بعض الدارسين أن السيميائيات قد انطلقت مع سوسير الذي تنبأ في محاضراته بولادة علم جديد يعنى بدراسة العلامات ومن أصحاب هذه الرؤى نجد الدكتور محمد السرغيني: "لقد رأت السيميولوجيا النور على يد سوسير الذي اعتبرها علما أرحب دلالة من علم الألسنية.

وقد أشار دوسوسير في أحد دروسه إلى إمكان قيام علم جديد يعالج حياة العلامات في كنف المجتمع حيث يقول: "يمكننا أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، علما سيشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي، ومن ثم فرعا من علم النفس العام. وسوف نطلق على هذا العلم اسم السيميولوجيا .

وفي الوقت الذي تنبأ فيه سوسير بأن علما للعلامات سيوجد مستقبلا، كان بيرس منشغلا بإبراز معالم هذا العلم وأصوله العامة دون أن تكون له معرفة مسبقة بما تنبأ به سوسير . وهذا ما جعل باحثين عديدين يؤكدون سبق سيميوطيقا بيرس على سيميولوجيا سوسير.

يقول جيرار دولودال : "وباعتباره منقبا في مجالات عديدة، لم ينقطع بيرس طوال حياته عن تكوين نظرية حول العلامات، حتى وهو يهتم بموضوعات أخرى" .

ليأتي مجموعة من الرواد الذين اهتموا بالسيميائيات المعاصرة حيث اهتموا أكثر بالمنطق أهمهم:" بويسنس" Buyssens Eric الذي طور نظرية بيرس ذلك في كتابه les langages et les discours الصادر عام1943.

بالإضافة إلى رواد اللسانيات البنيوية أمثال جاكوبسون Roman Jakobsonالذي اهتم بالمنظور السيميولوجي و عملوا على تحديد موقع اللغة داخل الأنساق السيميولوجية الأخرى.

أما رولان بارث اتضحت معالم السيميولوجيا عنده حين نشر كتابا سيميولوجيا سنة 1964 الذي يعتبر الولادة العقلية للنظرية السيميولوجية غير اللسانية حيث يعد هذا العالم من أقطاب النقد السيميولوجي .